لم يصعد إلى الشرفة إلا مؤذن أعمى تم اختياره بعناية حتى لا يجرح البيوت المجاورة بالتطلع والبص، مات قبل مجيء الأخرس، وتم تركيب مكبر صوت عوضًا عن الطلوع ورفع الصوت.

لسنوات سيتذكر فريح ما جرى برعب، ثم خشية، ثم فضول، ثم رغبة مبهمة لاستعادة ما جرى، تلى ذلك سعى، شاع أمره، حتى ليزعم بعضهم أن تلاميذ الفصل أتوه متتابعين فى الخرابة المطلة على الحقول مما أحدث تشنجًا فى عضلاته اقتضى علاجًا ببخار الشيح والكمون.

يعلم الله كم عانى أبوه منذ عودته إلى البيت ومؤخرته تقطر، إلى بذله الجهد للتستر على ما جرى، خاصة بعد اختفاء الأخرس كأنه فص ملح وذاب.

حدث ما حدث، بذل الأب الجهد والمال حتى أوصله إلى كلية التجارة، جامعة القاهرة، الحق أن الولد ذكى، طموح، لماح، لطيف العشرة، لكنه محب للعزلة والتوحد، قليل الثقة بكل شخص قبل لقائه بفيروز بحرى، يذكر بعض زملائه فى قسم المعاملات الذى التحق به أول خدمته أنه تحدث يومًا بضيق ملحوظ عن مجيء أمه من البلدة وإقامتها معه للعلاج، تسبب ذلك فى وقوع اضطراب له، وارتباك شئونه، لم يعتد النوم إلا بمفرده، لا يطيق تردد أنفاس مخلوق آخر على مقربة منه، فى ذلك الوقت أقام بغرفة وصالة ناحية الهرم، ولم يكن لديه إلا فراش واحد، ويعلق ملابسه إلى مسامير مدقوقة فى الجدار، عندما سألوه عن موضعها، قال إنه السرطان.

لم تمرض طويلا، رحلت بعد شهر من قدومها إلى مصر، وأعقبها